وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامـــعـــة تكريت

كـــلـــيـــة الاداب

قـــسم الاجتـــماع

المجتمع العراقي

المرحلة الثانية

م.م. أنور توفيق عبد

الفصل الاول

يهدف هذا الفصل الى مراجعه اراء واحكام وتخمينات لاحد رواد علم الاجتماع في العراق (الدكتور علي حسين الوردي) فيما يخص ظواهر ومشاكل اجتماعيه عراقيه درست قبل ربع قرن او اكثر، من اجل التحقيق من مصداقيتها ودقتها في تشخيص واقع المجتمع او اخفاقها من خلال فرضياته التي استعملها، فضلا عن ان نقده لبعض سلبيات الحياه الاجتماعيه العراقيه يبدا من العقد الثالث من هذا القرن وينتهي في نهايه العقد السادس.

ويعلم الجميع ان فرضيات الوردي شغلت المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن وجعلته يدخل في مناقشات وتحليلات فسيولوجيه عني بها النقاد والكتاب والمفكرون في ذلك الوقت وقد يعود ذلك الى عمق الموضوعات والاراء والاحكام التي قدمها الوردي في بناء المجتمع العراقي او في ميراثه الاجتماعي والى طريقه تقديمها باسلوب سلس بعيدا عن تقنيات العلم المنهجيه والتنظريه والى جرائه الباحث في تناول موضوعات اجتماعيه يتردد الاخرون في تناولها او يتعادى البعض على الخوض فيها يدعو ان الباحث العلمي يجب ان يتناول موضوعات تعني المجتمع الانساني بشكل عام. يبدو ان الوردي غار في اعماق المجتمع العراقي ودرس ظواهر العامه والخاصه المتناقضه والمنسجمه ورصد الامراض الاجتماعيه وليس الرفاهيه والسعاده الاجتماعيه.

وسوف نراجع اراء الورد واحكامه وتعميماته من وجهه نظر اجتماعيه متخصصه من خلال عدم استخدام اقيمه لا تمثل مده دراسه الورده، او من نتائج احداث اجتماعيه ظهرت في اعقاب تغيرات اجتماعيه وحضاريه حصلت في المجتمع العراقي في العقدين السابع والثامن من هذا القرن، بل اقيمه تمثل مكانها وزمانها.

نطرح الان الفرضيات ونناقشها في ضوء منطقها وبيئتها وهي ما ياتي :

الفرضيه الاولى

صراع البداوه والحضاره

ومفادها ان الشعب العراقي واقع بين نظامين متناقضين القيم الاجتماعيه قيم البداوه الاتيه اليه من الصحراء المجاوره وقيم الحضاره المنبعثه من تراث الحضاره القديم المتوقع في مثل هذه الحاله ان يعاني الشعب صراعا اجتماعيا ونفسيا على توالي الاجيال فهو من ناحيه لا يستطيع ان يطمئن الى قيمه الحضريه زمنا طويلا لان الصحراء تمتد بين اونا واخرى بالموجات التي تفسد عليها طمائنينته الاجتماعيه وهو من الناحيه الاخرى لا يستطيع ان يكون بدويا كابن الصحراء لان الحضاره المنبعثه من وفره مياه وخصوبه ارضه

تضطر الى تغيير القيم البدويه الوافده اليه لكي يجعلها ملائمه لظروفه الخاصه من الجائز ان يكون طبيعه الشعب العراقي شعب حائرا فقد انفتح امامه طريقان متعاكسان وهو مضطر الى ان يسير فيهما في ان واحد فهو يمشي في هذا الطريق حين ثم يعود ليمشي في الطريق الاخر حين اخر{ دراسه المجتمع العراقي، ١٩٦٥ص١٣} في ضوء هذه الفرضيه الاحتماليه نستخرج متغيراتها العلميه

أ- قيمه الحضاره المنبعثه من تراث المجتمع العراقي الحضاري القديم تمثل متغيرا مستقلا (اي سبب)

ب- قيمه البداوه تمثل متغير مستقلا ايضا.

ج- المد والجزر بين قيمه البداوه وقيمه الحضارة (يمثل متغير معتمد اي النتيجه)

ان الحضاره المنبعثه من وفره مياه العراق وخصوبته تلزم الشعب العراقي في تغيير القيم البدويه الوافده اليه لكي يجعلها ملائمه لظروفه الخاصه وهذا يعني انه لا يوجد صراع بل ان قيمه البداوه الوافده الى العراق تتكيف بطريقه العيش الحضريه لكي تكون ملائمه لظروف القيم المدنيه هذه الفرضيه قدمها الوردي عام ١٩٦٥ والفرضيه نفسها قدمها بشكل مختلف في عام ١٩٧٤ ومفادها ما ياتي ((ان المجتمع العراقي عاش طيله العهد المغولي والتركي في فتره (مظلمه) من الناحيه الحضاريه حيث كانت الحكومه المركزيه لا يهمها سوى جبايه الضرائب فتركت الناس يفعلون بانفسهم ما يشاؤون حتى شاعت بينهم المعارك القبليه والغزو والنهب وقطع الطريق والثار السكان الى التماسك بالعصبيه والقيم البدويه لكي يحافظ على ازواجهم واموالهم ولم يقتصر هذا الامر على العشاء فقط بل شمل اهل المدن كذلك اذ صاروا يحملون السلاح للدفاع عن انفسهم تجاه العشائر المجاوره وظهر بينهم رؤساء محليون على شاكله الشيوخ العشائر وبدا اصبح القانون معطلا في ضبط الامن وحل محله العرف العشائري المستمد من القيم البدويه وظل العراق يعيش على هذا الوضع حتى منتصف القرن التاسع عشر واذ ذاك بدا تيار حضاري جديد تمثل في نمو السلطه الحكوميه ولكن هذا التيار كان يسير ببطء شديد وقد اخذت السلطه الحكومه تمنع بمد الخراب بشكل تصاعدي الى درجه .لا مجال لمقارنتها بما كانت عليه قبل الحرب وقد ساعدتها على ذلك وسائل السيطره الحديثه كالطائرات والمصفحات والمدافع المحموله مما جعل السكان غير قادرين على مجابهه الحكومه او محاربتها على نحو ما كانوا يفعلون سابقا فكان ذلك بدخول المجتمع العراقي في هذه المرحله الانتقاليه التي تعيش الان فيها والتي تتميز بشده الصراع بين قيم البداوه التي وردناها من ابائنا وقيم الحضاره التي جاءتنا مع التيار الحديث { لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ج٤-١٩٧٤-ص ٤٠٣}متغيرات هذه الفرضيه هي:

أ- ضعف الحكومه المركزيه (متغير مستقل)

ب- عدم اهميه القانون في ضبط الامن (متغير مستقل)

ج-قيم حضاريه جاءتنا مع التيار الحديث متمثله في نمو السلطه واستخدامها وسائل سيطره حديثه (متغير مستقل)

د- تمسك المجتمع العراقي بالقيم البدويه والتعصب لها(متغير معتمد اي النتيجه)

هـ- صراع قيم البداوه مع قيم الحضاره (متغير معتمد)

الملاحظه على هذه الفرضيات اختلاف نصها عن نص الفرضيه نفسها التي قدمها عام ١٩٦٥ والاختلاف جوهري وليس ثانوي لاسباب منها ما يلي في عام ١٩٦٥ عد الوردي الصراع الاجتماعي بين القيم البدويه والحضريه تتجه بسببين او متغيرين (قيم تراثيه تابعه من المجتمع العراقي والقيم بدويه وافده اليه من الصحراء المجاوره) ولم يتطرق الى اثر السلطه الحكوميه في تسبب الصراع بل سماه بالمد والجزر بين القيم البدويه والحضاريه لكنه انطلق من مده حكم المغول والاتراك والسلطه الحكوميه قبل الحرب العالميه الاولى بوصفه متغير جديد في تسبب التعصب القبلي فضلا عن ذلك فانه يؤكد ان القيم البدويه الوافده سوف تجبرها قيم المجتمع العراقي الذي يعيشه في منطقه مدينه حضريه على تغيرها لتكون ملائمه لظروفه الخاصه وعليه لا يحصل صراع بل ولا يحصل مد وجزر بين النمطين في شخصيه الفرد والمجتمع العراقي بل يحصل امتصاص او يمثل القيم المدنيه الحضريه للقيم البدويه.

اما نص الفرضيه فانه لم يحدد بدقه القيم الحضاريه فهل هي قيم الحضاره المنبعثه من تراث المجتمع العراقي او انها القيم الحضاريه الوافده الينا مع التيار الحديث المتمثله في نمو السلطه واستخدام وسائل السيطره الحديثه المتغير هنا اختلف ولا يمكن لاي فرضيه علميه ان تتضمن متغيرين مستقلين متناقضين في ان واحد فقد حصل اختلاف في المتغيرات ففي النص الاول للفرضيه عدا المجتمع العراقي حاملا قيما حضاريه متاصله وان البذور الوافدين من الصحراء المجاوره يؤثرون في قيم المجتمع العراقي وهذا يعني ان القيم البدويه وافده وان القيم الحضاريه متاصله في الضمير الاجتماعي العراقي بينما عد في النص الثاني من الفرضيه نفسها العكس حيث عدى القيم البدويه هي الاصل وهي الاطار المرجعي الذي يتماثل معها الفرد العراقي عندما يواجه سلطه اجنبيه وافده ومستغله له اجتماعيا واقتصاديا وهذا تناقض في نص الفرضيه الواحده يفتقر الى دقه متغيراتها وبالتالي اصبح هدف نصي الفرضيه الوصول الى تعميم اجتماعي حول الصراع الاجتماعي عبر الاجيال وهذا التعميم المطلق لا يؤخذ به في الدراسه الفسيولوجيه العلميه لانه لا توجد حقيقه مطلقه بل نسبيه.

فضلا عما تقدم فان النص الاول للفرضيه لم يذكر مصطلح الصراع ذكر مصطلح المد والجزر بين قيم البداوه (الوافده من الصحراء المجاوره) وبين (قيم الحضاره المتاصله في تراث المجتمع العراقي) ولم يذكر النص ايضا التعصب القبلي (لانه وافد من مجتمع خارجي) ولم يسميه بالتلاقح القيمي او التفاعل الاجتماعي

بل المد والجزر الذي يعني عدم التفاعل والتلاقح بيننا مطي القيم ولكن نهايه النص تفترق الى فكره المد والجزر حيث اكدت تغير القيم البدويه الوافده لكي تكون منسجمه ومتلائمه مع ظروف حياه المدينه وقيمها الحضريه وعليه لا يحصل صراع اقول ان عنوان الفرضيه لا يمثل او ينطبق على النص الذي اورده الاستاذ الوردي.

في حين يذكر النص الثاني (في عام ١٩٧٤) الصراع الاجتماعي الا انه لم يوضح ماذا يعني الصراع في هذه الفرضيه والذي يعني احترام او تنازع مصالح مجتمعين او جماعتين او نمطين من القيم من اجل البقاء في الوجود والذي ينتهي بالبقاء الاصلح او للاقوى.

يبدو الناس الافتراضي لم يوضح ذلك بل اوضح العلاقه المتاخره بين قيم البداوه وقيم الحضاره الى صله بسبب ضعف السلطه الحكوميه او بسبب قوتها ولم تصل برايين الفرضيه الى اثبات من هو الاصح او الاقوى بل افترض علاقه متنافره على توالي الاجيال وبالتالي يصل المجتمع العراقي الى مرحله الحيره وهذه مرحله لم يمر بها اي مجتمع انساني لا سيما ان لكل مجتمع فكره اجتماعيه وظروف شرطيه واهداف اجتماعيه تحدد مسيرته في الحياه الاجتماعيه.

ان السياق البحث يلزمني الا اخفى بهذا الصدد ذكر او اخذنا بالنص الاول للفرضيه لكانت النتيجه ان نهايه المد والجزر تكون ببقاء نمط القيم الحضاريه لانه متاصل في تراث المجتمع العراقي وان نمط القيم البدويه الوافده من الصحراء المجاوره زائل لضعفها امام نمط الحضاره ولعدم اصالتها في مجتمع مديني حضري.

ولو اخذنا بالنص الثاني اذا كانت نهايه العلاقه التنافريه (التي اسماها بالنص بالصراع الاجتماعي) ما ياتي:

أ- ان المجتمع البدوي يتعصب عندما يواجه تحديا طويا من قبل سلطه حكوميه قويه والعكس صحيح.

ب- ان القيم البدويه تتخلص تدريجيا اذا استقرت الدوله وقد تستغني عن العصبيه (هذا الافتراض قال ابن خلدون في مقدمته في الفصل الاول من الكتاب الاول).

ج- ان الرئاسه على اهل العصبيه لا تكون في غير نسبتهم (مقدمه ابن خلدون الفصل الثاني عشر من الكتاب الاول).

هذه الافتراضات تكون سليمه فيما اذا كان المجتمع بدويا لكن النص الاول للفرضيه اكد ان المجتمع العراقي القديم كان حضريا ويمتلك قيما حضريه وان القيم البدويه وافد عليه من الخارج في الواقع ان مفهوم الصراع المدى مع الحضاره اقتبسه الوردي من ابن خلدون (كما ذكر ذلك في كتاب لمحات اجتماعيه ١٩٦٩ ص ٢٩٧) واطلقه على العلاقه المتنافره بين قيم البداوه والقيم المدنيه هذا الاقتباس لم يكن مطابقا لمضمونه لان الاول (الصراع عند ابن خلدون) كان يعكس هجوم البدو على الحظر وتاسيس الدوله والصراع يحصل فيما بعد اقول بينما يجلبه الحكام (البدو) من قيم وبين قيم المدينه الحضريه حيث قال ((قد تشعل البداوه احيانا

صبغه دينيه من نبوه او ولايه او غيرها فتجمع شملهم وتجعلهم يهاجمون الحضاره ويؤسسون فيها الدوله)) (المقدمه طبعة لجنه البيان العربي ص ٤٥٦) وما قدمه الوردي تحت مفهوم الصراع هو تعصب البدو لقيمهم كلما ضعف تطبيق القانون من قبل سلطه حكوميه اجنبيه وكلما كانت السلطه المركزيه قويه في سلطانها وهذا يعني ان الصراع بين القيم البدو وقيم المدينه الحضريه غير موجود وانما متنافر فضلا عن ذلك فان هذا المضمون لا يشبه مضمون الصراع الذي جاء به ابن خلدون فيما يخص الصراع واخيرا هناك تنبا اورده الوردي يلفت نظر الاجتماعيين المحدثين اليه وهو ((نحن لا نتوقع من علماء الاجتماع المحدثين على اي حال ان يسهو في بحث البداوه على منوال ما فعله ابن خلدون فالرجل عاش في مجتمع تغلغلت البداوه فيه واثرت في تكوينه تاثيرا بالغا بينما هم عاشوا في مجتمع ليس للبداوى فيه مثل هذا التاثير)) (منطق ابن خلدون ١٩٧٧ص ٢٧٦) الا اننا وجدنا الوردي قد اسهب في تفسير السلوك الاجتماعي (العراقي او العربي) من خلال فرضته الاولى (صراع البداوه والحضاره) لدرجه انه وضع خارطه للمداوى الاجتماعيه لا الجغرافيه في الوطن العربي (١٩٦٥ ص ٨١) والغي جميع المؤثرات الاجتماعيه الحضاريه في تفسير السلوك والظواهر والمشكلات الاجتماعيه.

النشاط الصفي

سؤال : لماذا سمي الدكتور علي الوردي بالباحث الثنائي ؟